هذا تعيش مائة عام . وكتب آخرون يقولون إن الجنس الانسانى من أطول الأجناس أعماراً برغم هذا المُصران . ثم دخل فى حوار واسع بدئ عن الحكمة فى أن سنة النشوء أذنت للحيوانات أن تحتفظ بالمصارين الغليظة ، وبغتةً وقع على دوائه الكبير للتسمم الذاتى : تحدّث بعضهم قال إن فى بلاد البلغار قُرى يعيش أهلها أكثر من مائة عام . ولم يكن متشنيكوف ذهب اليها ورأى هذه الأعمار الطويلة بعينه ، ولكنه برغم ذلك صدّق ما سمع ، وعلم أن هؤلاء المعمّرين يعيشون على اللبن الرائب [1] ، فأسرّ لنفسه : « أى والله ! هذا هو السرّ فى طول هذه الأعمار » ، ولم يلبث أن كلّف بعض الشبان البحّاث فى معمله دراسةَ الكروبة التى تُريب اللبن ، ولم تلبث هذه الكروبة الشهيرة — البشلة البلغاريّة — أن اتخذت مكانها رفيعاً بين المستحضرات الطبية

وفسّر متشنيكوف عملها فقال : « إن هذه الجرثومة تصنع حامض اللبن الرائب وهى بذلك تطرد البشلات الوحشيّة من الأمعاء » . وبدأ بأن شرب هو نفسه مقادير هائلة من اللبن الرائب ثم عقّب بأكل زبدات من البشلة البلغارية ويظل يأكل منها سنوات . وألّف كتباً كبيرة فى هذه النظرية الجديدة ، وأشادت بهذه المؤلفات صحيفة انجليزية لا يُعرَف الهزل منها فقالت إنها أخطر الكتب الطبية منذ ظهور كتاب « أصول الأجناس » لدارون . وشاع أكل هذه البشلات السخيفة فى الناس ، وتألفت شركات لصناعتها أثرَى أصحابُها إثراء كبيراً من بيعها ، وأذن لهم متشنيكوف أن يكتبوا اسمه عليها ولو أن زوجته تؤكد أنه لم يُفِدْ من ذلك قرشا

وعاش عشرين عاماً عيشة صارمة على الأسلوب التى تقضى به هذه النظرية . وجانب الطبّاق ولم يذق كحولاً فى شراب ولم يأذن لنفسه أن تستمتع بشهوةٍ داعرة ، وامتحنه أشهر أطباء العصر وأداموا امتحانه ، وجاءه الخبز فى أكياس معقمّة من الورق حتى لا تَعْلَق به هذه البشلات المعوية التى يتسمم الجسم من فعلها . واختبر دائماً عصارات جسمه وإفرازاته . وشرب فى هذه السنوات الأخيرة جالونات لا عدّ لها من اللبن الرائب وبلع الملايين من البشلات البلغارية النفّاعة . . .

ثم مات فى عامه الواحد والسبعين

(انتهى متشنيكوف)

أحمد زكى

(١) منه اللبن الزبادى

خواطر سياسية

بقلم بورم ١٤ سبتمبر

للأستاذ محمد محمود جلال

نزلنا (برتشاخ) فى أوائل أغسطس المنصرم نستجم بعد الاستشفاء فى (بادجاستين) ، وبرتشاخ محلة تمتاز بالهدوء وتوسط الارتفاع عن سطح البحر فلا تكاد تصل إلى خمسمائة متر ، وهى واقعة على بحيرة (فرتر) التى تعد من أجمل البحيرات فى أوربا

وهناك تقوم البواخر والزوارق من بخارية وشراعية مقام الترام والعربة والسيارة من وسائل النقل

ففى أصيل أحد الأيام وبينما نهم لنستقل أحد تلك الزوارق التى تسير (بالبنزين) لمحنا فى الأفق وعلى بعد نحو ميلين أو ثلاثة قوساً يعلو البحيرة ويبدأ من الشاطىء الأيمن ، فصاح ولدى وهو بجانبى : « هذا ماء وكأنه يخرج من مضخة » قلت كلا ، وكيف ذلك وليس فيما نرى ساكن وهذا موضع بحذاء الطريق المعد للسيارات ، ولولا أن القوس لا تظهر معها ألوان لقلنا إنه قوس قزح الذى نسميه فى ريفنا المبارك (قصعة الرخاء) ونعده فألاً حسناً للعام

طلبنا إلى السائق أن يتجه إلى هذا المكان المنبهم علينا وهناك سألناه الايضاح ، قال : إن إلى يميننا بحيرة صغيرة تعلونا بكثير ، ويزداد ماؤها بين وقت وآخر بحيث يخشى طغيانه ، فأقامت له الحكومة محطة كهربائية تنقل منه جانباً فى يوم معين من الأسبوع وقد يتكرر ذلك فى أيام أخرى غير معينة

قلت : ولم تعملون على أن يتخذ فى تصريفه هذا الوضع وفى الامكان صرفه دون أن يرى وعلى وضع مستقيم

قال : « إن أسماك بحيرتنا تموت من قوة الاندفاع ، فحرصاً عليها لجأ المهندسون إلى هذه الطريقة »

قلت : « أهكذا دائماً قوانين الطبيعة لا تتغير ؟ فالغريب من الماء كالغريب من الناس حين ينزل على غير بلاده مغيرا أو محتلا غاصباً يخرب ويدمر ويعصف بالأوضاع كما يعصف بالأرواح ، ولو رد جميع الناس إلى آدم وحواء كما يرد أصل هذه الأنهار والبحيرات إلى المطر ! !

ذكرت على التو بلادى وما عانت منذاً كثر من خمسين عاماً فى نظمها وأوضاعها وأخلاقها وأموالها ، ومضت برغمى فترة طويلة منصرفاً إلى ما اكتنفنى من هم مسخ النزهة وكاد يعفى أثر العلاج وأنا مطرق . . مستعبر

قبع جنود الاحتلال فى قصر النيل ووصل أثرهم إلى أقصى الوجه السودانى جنوباً والبحر الأبيض شمالاً . وجلس عميده الأول بقصر الدوبارة ونغص عيشنا فى ريفنا وصعيدنا ، وانساب كالأفعى إلى عقل الطالب بما قدم من كتب ممسوخة وإلى الزارع بامتصاص دمه وإلى الدوائر العليا يخضد من شوكتها ويعلن أوامره فأفسد الأخلاق ، وإلى الجيش فجعله لا يشعر بوجود ولا يتقدم خطوة ولو فى الدراسة النظرية

* * *

ولقد أراد الله أن تصل بنا الباخرة فى العودة إلى الوطن فى السادسة من صباح ٢ سبتمبر ، وما كدنا نفرغ من الاستعداد حتى قاربت الثامنة ، وإذا بأحد الخدم يطرق الباب ، وكم كان سرورى عظيما حين سلمنى جوازات السفر فأراحنى بذلك من المشهد المؤلم الذى كان على كالضربة الثقيلة ، إذ شاء الاحتلال أن تكون الأسرة فى بوليس الموانئ للانجليز ! فلكم كنت أشعر بالتنغيص المفاجئ فى الذهاب والعودة حين أرى السيطر الباحث فى جواز مصرى ولمسافر مصرى غير مصرى

فتحت الخادم وتناولت الجوازات مغتبطا ، وطرت مع الفأل فرحاً وقلت فى نفسى سيحقق الله للبلاد بجهودها ما حققت لى المصادفة اليوم

وهكذا يشاء الله أن يمر ١٤ سبتمبر وأنا بعيد عن القاهرة ، كما تمنيت من قديم ، وكما أنالنى الله وقد عودنى جميله

* * *

عدنا إلى الوطن ونزلنا منازلنا والموسم الزراعى فى أحفل مراحله ، إذ تموج الحقول فى جميع أرجاء البلاد بالعديد من أبنائها يجمعون بأيديهم ثروتها ، وإنهم بذلك يتظاهرون للجهاد لا فى سبيل العيش فقط ، ولكن فى سبيل سمعة الوطن فى جانب غنائه ؛ وليس أقوى من مظهرهم حافزا للهمم بين وهج الشمس وأثر الرطوبة المتخلفة عن الفيضان . فلا يحسون سوءا من الأولى ولا من الثانية ، لأن وهج الهمة أقوى ، وسورة الجهاد أطغى وأعم

ويتفق أن يحفل الموسم مبكراً فيتفق واليوم المنكود الذى طلعت على رحى الاحتلال شمسه ، وخيمت على عاصمة البلاد سحب الشر فيه مختلطة بغبار الخيل قادمة فى غير حرب ، وشاحة كأنما انتهت من فتح ، وهو الغصب الصارخ يؤيده العذر الذى لا يعدو خيوط العنكبوت فى قوته ، ثم تدرج عليه سنون فوق الخمسين

انظر واعتبر ! ثم انظر وأمل فى الله الخير ، فان الشعب الذى تعركه المحن وتنغصه النكريات يكون أقوى الشعوب حينما يستفيد من ماضيه ، وأقدرها على السير ناضجاً بفعل الأيام وهى خير مرب

وإذا كان الزمان استدار فظهرت العزائم متجهة والقوى متراصة جهاداً فى سبيل العيش ، فما قريب تظهر هذه العزائم فى العمل فى كل ميدان للتخلص مما أصاب البلاد

* * *

وكان أول كتاب للمرحوم مصطفى كامل الى مدام جوليت آدم فى ١٢ سبتمبر وكان كتاباً له ما بعده . وكان ما تلاه بادرة ظهور القائد الشاب وبادرة الأمل ، وأول العمل المستمر الذى أفنى فيه حياته

ولئن كانت الصحف اليومية وأكثر الهيئات لم تمر هذا اليوم ما يناسبه من عناية ، فقد يكفل الأدب للأمم استخراج العبرة البالغة من المأساة ، والمفخرة الغالية من الحادث الصغير . وقديماً قام الأدب أميناً على تراث الماضى وتأثراً للفضل والفضائل . ولقد صدق المرحوم شوقى بك حين رأى كسرى وإيوانه فى سفينة النجوى أبقى على الزمن من الايوان فى فخامته وبنيانه . فكيف به أمام يوم غير من حال أمة ورزأها أكبر الرزء ؟

كنت إلى أمس أقرأ تعليقاً قيما للكاتب الكبير أناطول فرانس على بحث فنى بصدد أحد القصور التاريخية فى فرنسا وهو قصر الوزير (فوكيه) وزير المالية فى عهد لويس الرابع عشر ، فحين عرض لمحنته ثم لمصرعه ذكر تنكر الأيام للوزير وتغير صحبه وخلانه ، وحتى ذلك الجمع الذى لا يحصى ممن له عليهم أيد وآلاء ولم يقم بالواجب نحوه ويذكره فى محنته ، ويفصل بين السيئة والحسنة ، ويمنع طغيان الشهوات على قديم مآثره ، إلا لأدباء ، فتسابقوا دفاعاً عنه نظما ونثراً ومن بينهم كورنيل « Corneille » والرئيس هينو « Henault »

وهل أقرب إلى الحق من الأدب ؟ ومن يحمل عبء الأيقاظ للخير غيره ؟ وهل يصرع الظلم سواه ؟

والحق عرض الله ، كل أبية بين النفوس حمى له ووقاء

محمد محمود جلال